

فتح مصر

رسم
إبراهيم سمرة

بقلم
عبد الحميد عبد المقصود



المؤسسة العربية الحديثة

الطبع والتوزيع
مطبعة - القاهرة - ١٩٨٤
الطبعة الأولى

كَانَتْ مِصْرُ - وَقْتَ أَنْ فَكَّرَ الْقَائِدُ الْمُسْلِمُ
(عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) فِي فَتْحِهَا - وَاقِعَةً تَحْتَ سَيْطَرَةِ
الْحُكْمِ الرُّومِيِّ، مِثْلَهَا فِي ذَلِكَ مِثْلُ الشَّامِ وَفِلَسْطِينَ ..
وَقَدْ دَانَتْ الشَّامُ وَفِلَسْطِينَ لِحُكْمِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ
فَتَحَهُمَا اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الْأَوَّلِ
(أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ)، وَالْخَلِيفَةِ الثَّانِي (عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَطَرَدَ (هَرَقْلَ) إِمْبِرَاطُورَ





الرُّومَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ عَاصِمَةِ مَمْلَكَتِهِ ، كَمَا طُرِدَ
جُنُودَهُ ، فَمِنْهُمْ مَنْ غَادَرَ الشَّامَ وَفِلَسْطِينَ إِلَى
الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ هَرَبَ إِلَى مِصْرَ ، تِلْكَ
الدَّوْرَةُ الْغَالِيَّةُ فِي تَاجِ الْمَمْلَكَةِ الرُّومِيَّةِ ..

وَكَانَ (الْأَطْرَبِيُّونَ) أَحَدَ الْقَوَادِ الرُّومِ الْعِظَامِ الَّذِينَ
مُنُوا بِأَشَدِّ الْهَزَائِمِ فِي فِلَسْطِينَ عَلَى أَيْدِي الْفَاتِحِينَ
الْمُسْلِمِينَ ، فَانْسَحَبَ بِقُوَّاتِهِ إِلَى مِصْرَ ، لِلدَّفَاعِ عَنْهَا
فِي حَالَةِ إِقْدَامِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى فَتْحِهَا ..



وَكَانَ (عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) أَحَدَ الْقَوَادِ الْمُسْلِمِينَ
الْعِظَامِ الَّذِينَ شَارَكُوا بِمَهَارَةٍ وَمَقْدِرَةٍ فِي فَتُوحِ
الشَّامِ وفِلَسْطِينَ ..

وَقَدْ رَأَى (عَمْرُو) ﷺ - بَعْدَ أَنْ فَتَحَ اللَّهُ
لِلْمُسْلِمِينَ (بَيْتَ الْمَقْدِسِ) - أَنْ يَسِيرَ بِقُوَّاتِهِ إِلَى
مِصْرَ ، فَيَفْتَحَهَا مُطَارِدًا الْقَوَاتِ الرُّومِيَّةَ الْهَارِبَةَ بِقِيَادَةِ
(الْأَطْرِبِيِّ) قَبْلَ أَنْ تُتَّحَاحَ لَهَا الْفُرْصَةُ

لِلتَّحَصُّنِ فِي حُصُونِ مِصْرَ الْمَنِيعَةِ ، فَيَصْغُبُ
حِينَئِذٍ فَتْحُ مِصْرَ ..
يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ ضَيْقُ أَهْلِ مِصْرَ بِالْحُكْمِ الرُّومِيِّ ..
وَلِهَذَا سَارَعَ (عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) بِمُخَاطَبَةِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) طَالِبًا مِنْهُ الْإِذْنَ بِفَتْحِ
مِصْرَ .. فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، يَطْلُبُ مِنْهُ
التَّرَوُّى وَعَدَمَ التَّسَرُّعِ ، حَتَّى لَا يُعَرِّضَ جُنُودَ
الْمُسْلِمِينَ لِلْخَطَرِ ..





فَلَمَّا تَدَارَسَ (عُمَرُ) الْمَوْقِفَ ، وَاسْتَشَارَ كِبَارَ الصَّحَابَةِ
فِي الْأَمْرِ ، كَتَبَ إِلَى (عَمْرُو) يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَسِيرَ
بِمَنْ مَعَهُ مِنْ فَلَسْطِينَ إِلَى مِصْرَ ، وَسَوْفَ يُرْسِلُ لَهُ
مَدَدًا مِنَ الْجَيْشِ كُلَّمَا احتَاجَ (عَمْرُو) لَذَلِكَ ..
سَارَعَ (عَمْرُو) يُنْقِذُ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عُمَرُ)
فَسَارَ بِجَيْشِهِ الْبَالِغِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ مُقَاتِلٍ مِنْ فَلَسْطِينَ
إِلَى مِصْرَ عَبْرَ صَحْرَاءَ سَيْنَاءَ ، حَتَّى وَصَلَ (الْعَرِيشَ)
فَلَمْ يَلْقَ أَيُّ أَثَرٍ لِجُنُودِ الرُّومِ .. فَوَاصَلَ سَيْرَهُ حَتَّى



وَصَلَ إِلَى بَلَدَةٍ تُسَمَّى (الْفَرَمَا) فَوَجَدَ الرُّومَ قَدْ
تَحَصَّنُوا بِحُصُونِهَا الْمَنِيعَةِ لِلدَّفَاعِ عَنْ حُدُودِ مِصْرَ
الشَّرْقِيَّةِ .. وَجَيْشُ (عَمْرُو) أَقَلُّ بِكَثِيرٍ مِنَ الْحَشُودِ
الرُّومِيَّةِ .. فَلَمَّا خَافَ (عَمْرُو) أَنْ يُوَثِّرَ ذَلِكَ فِي
مَعْنَوِيَّاتِ جُنُودِهِ ، أَوْ يُضْعِفَ مِنْ عَزِيمَتِهِمُ الْقِتَالِيَّةِ ،
خَطَبَ فِي جُنُودِهِ وَقَالَ لَهُمْ :

« إِنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا قَلَّةً دَائِمًا ، فِي كُلِّ مُوَاجَهَةٍ
لَهُمْ مَعَ الْفَرَسِ وَالرُّومِ ، وَإِنَّهُمْ قَهَرُوا عَدُوَّهُمْ ، لِأَنَّ
اللَّهَ وَعَدَّهُمُ النَّصْرَ ، فَكَانَ النَّصْرُ حَلِيفَهُمْ » .

ثُمَّ تَقَدَّمَ (عَمْرُو) بِجُنُودِهِ الْبَوَاسِلَ ، فَحَاصَرَ
حُصُونَ (الْفَرَمَا) الْقَوِيَّةَ بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنْ جُنُودٍ
وَعَتَادٍ ، مُدَّةَ شَهْرٍ ، ثُمَّ فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَقَهَرَ جُنُودَهُ
جُنُودَ الرُّومِ الَّذِينَ يَفُوقُونَهُمْ عَدَدًا وَعُدَّةً ..

ثُمَّ تَقَدَّمَ (عَمْرُو) بِجُنْدِ الْإِسْلَامِ ، حَتَّى وَصَلَ
إِلَى قَرْيَةٍ (بَلْبَيسَ) فِي الشَّرْقِيَّةِ ، فَفَتَحَهَا
دُونَ مُقَاوَمَةٍ ، وَأَقَامَ بِهَا هُوَ وَجُنُودُهُ





بَعْدَ أَنْ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ بَعْضُ الْبَدَوِ مِنَ الْمَصْرِيِّينَ ...
عَلِمَ (الْمَقْوِيسُ) حَاكِمُ مِصْرَ الرُّومِيِّ بِقُدُومِ قُوَّاتِ
الْمُسْلِمِينَ لِفَتْحِ مِصْرَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى (عَمْرُو) بَعْضَ
الْأَسَاقِفَةِ وَالْقُسُوسِ لِيُفَاوِضُوهُ عَلَى الصُّلْحِ ،
فَاسْتَقْبَلَهُمْ (عَمْرُو) وَخَيَّرَهُمْ بَيْنَ وَاحِدٍ مِنْ أُمُورِ
ثَلَاثَةِ :

إِمَّا الدِّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ ،



أَوْ دَفْعَ الْجُزْيَةِ ،

أَوْ الْحَرْبِ ..

وَقَالَ لَهُمْ (عَمْرُو) :

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ بِأَمْرِ اللَّهِ مُفْتَتِحُونَ بِلَادَكُمْ ، وَقَدْ

وَعَدَنَا الرَّسُولُ ﷺ بِذَلِكَ ..

عَادَ الْأَسَاقِفَةُ بِشُرُوطِ (عَمْرُو) إِلَى (الْمُقَوْقِسِ)

فَرَفَضَ الدَّحْوَولَ فِي الْإِسْلَامِ ، أَوْ دَفْعَ الْحَرْبَةِ ، وَأَعَدَّ

جَيْشًا قَوَامُهُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْخُنُومِ سَارِبِهِ إِلَى

(بَلْبَيسِ) لِأَخْذِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَرَةِ

لكنَّ حَيْشَ الْمُسْلِمِينَ بِقِيَادَةِ (عَمْرُو) نَبَّهَ لَهُذِهِ
الْخُدْعَةَ ، فَتَصَدَّى لِحَيْشِ الرُّومِ الْكَثِيرِ ، وَقَتَلَ قَائِدَهُ
(الْأَطْرُبُونَ) وَحَقَّقَ بِذَلِكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ..

ثُمَّ وَاصَلَ حَيْشُ (عَمْرُو) قَاصِدًا (مِصْرَ) بَعْدَ أَنْ
وَصَلَهُ الْمَدَدُ مِنَ الْحَلِيفَةِ (عُمَرُ بْنُ الْحَطَّابِ)
وَقَوَامُهُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ جُنْدٍ ..

نَزَلَ جُنُودُ (عَمْرُو) (مِصْرَ) قَرِيبًا مِنْ حِصْنِ
(أُمِّ دَنْيَرٍ) الْمَسِيحِ عَلَى النَّيْلِ ، حَيْثُ يُوجَدُ مِينَاءُ





فيه الكثير من سفن الروم ومراكبهم ، وهذا
الحصن يقع على مقربة من حصن (بابلْيُون)
العظيم .

وأطلق (غمرو) عيونه ومراصده لتأتى له بأخبار
الروم وتخصّثاتهم ، ومدى استعدادهم للقتال
فأتته الأخبار بأنه لن يستطيع اقتحام حصون (مصر)
بسُهُولة بهذا العدد القليل الذى معه من جنود
الإسلام ، خاصّة حصن (بابلْيُون) المنيع ، لكن



(عَمَّرُوا) ذَلِكَ الْقَائِدَ الذَّكِيَّ الطَّمُوحَ أَثَرُ عَدَمِ

التَّراجُعِ بِجُنُودِهِ ، حَتَّى لَا يَطْمَعُ فِيهِ جُنُودُ الرُّومِ ..

فَكَرَّ (عَمَّرُوا) أَوَّلًا فِي الاسْتِيْلَاءِ عَلَى حِصْنِ

(أَمَّ دُثَيْنَ) لِأَنَّهُ أَضْعَفُ مِنْ حِصْنِ (بَابِلْيُونِ) وَلِأَنَّ

الاسْتِيْلَاءَ عَلَيْهِ يُتَبَحُّ لِعَمَّرُوا أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَى السُّفْنِ

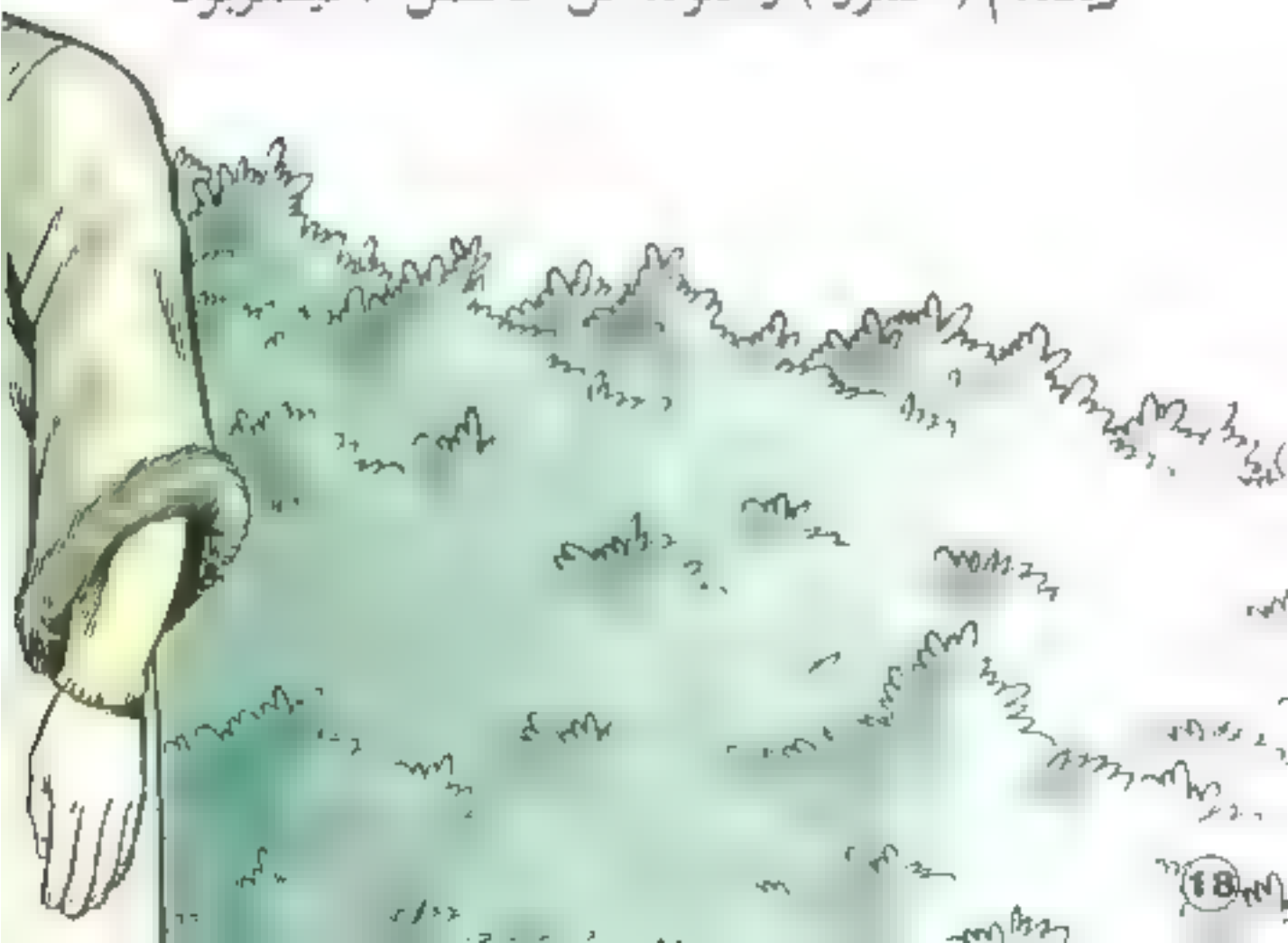
الرَّاسِيَةِ فِي الْمِينَاءِ الْقَرِيبِ مِنْهُ ، وَحَتَّى يُحَقِّقَ

(عَمَّرُوا) نَصْرًا سَرِيعًا يُبَارِزُ بَعْدَهُ لِكَسْبِ الْوَقْتِ ،

حَتَّى يَصِلَهُ مَدَدٌ حَدِيدٌ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عُمَرُ بْنُ

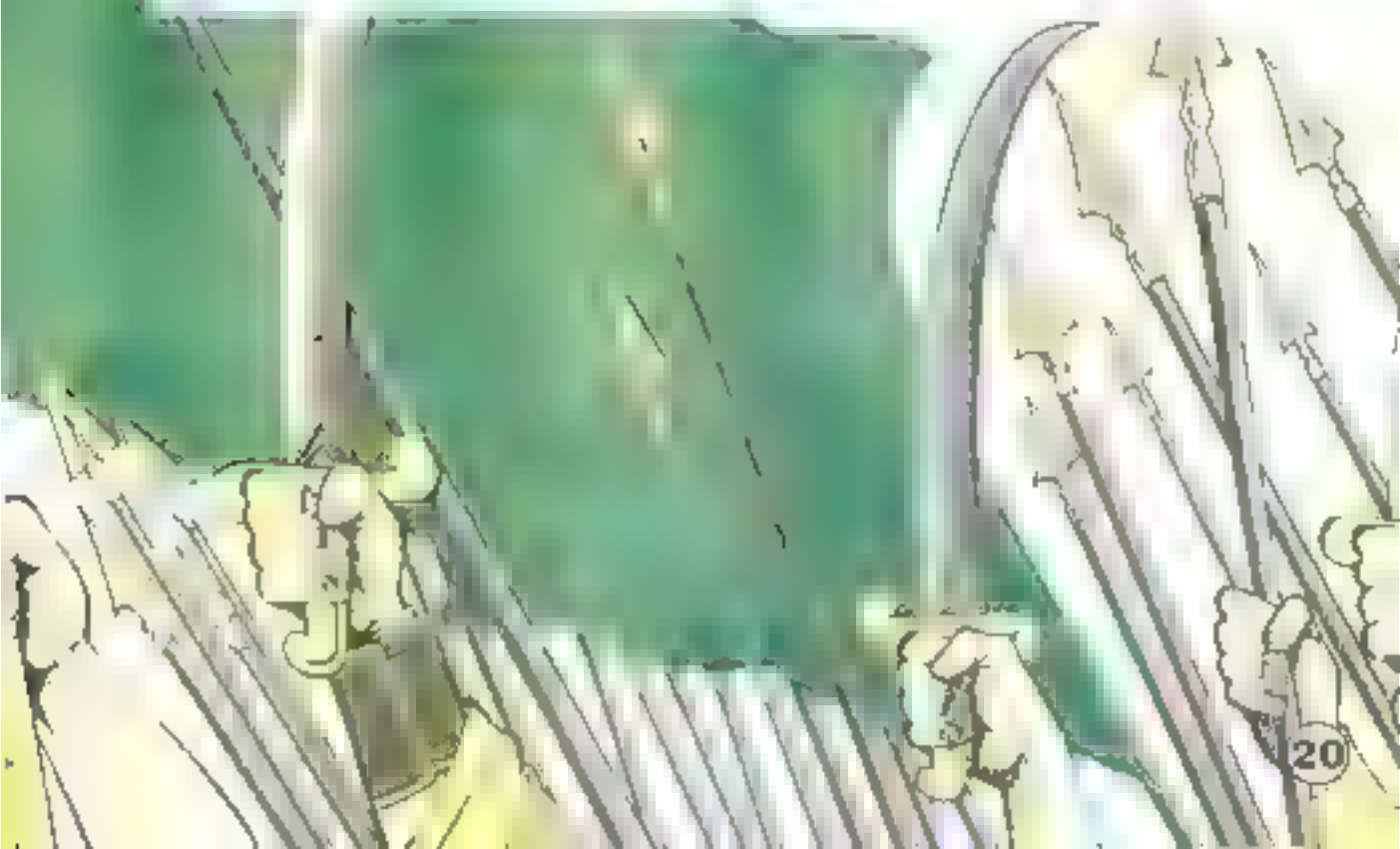
الْخَطَّابِ) ..

وبالفعل يتقدّم (غمّرو) بجُود الإسلام ، فيُحاصرُ
حصن (أمّ دين) ويمنعُ وصول المدد والطعام إليه ..
ثم تبدأ المناوشات بين الروم الذين يخرحون من
الحصن في جماعات ، والمُسلمين .
وفي هذه الأثناء يصل المدد لجيش المُسلمين ،
فيفزع الروم من ذلك ، ويتحصّنون داخل الحصن ..
ويتقدّم (غمّرو) وحنودة من الحصن ، فيضربون





ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَيَقْتَحِمُونَ أَبْوَابَ الْحَصَنِ ،
وَيَقْتُلُونَ مَنْ فِيهِ ، وَيَأْسِرُونَ مَنْ بَقِيَ حَيًّا ..
وَيَرْكَبُ جُنُودُ (عَمْرُو) السَّفْنَ الرَّاسِيَةَ فِي الْمِينَاءِ
الْقَرِيبِ مِنَ الْحَصَنِ ، فَيَقْنَرُونَ (النَّيْلَ) وَيَصْلُونَ
إِلَى أَهْرَامَاتِ الْحَيْرَةِ . ثُمَّ يَسِيرُونَ إِلَى الْفَيْئُومِ
نَاشِرِينَ الْفَرْعَ بَيْنَ حَامِيَةِ الرُّومِ وَيَتَصَرُّونَ عَلَى جُنُودِ
الرُّومِ هُنَاكَ .. ثُمَّ يَعُودُ (عَمْرُو) بِجَيْشِهِ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى
حَصَنِ (أُمِّ دَنِيسَ) فَيَسْتَقْبِلُ الْمَدَدَ الَّذِي أُرْسِلَ لَهُ

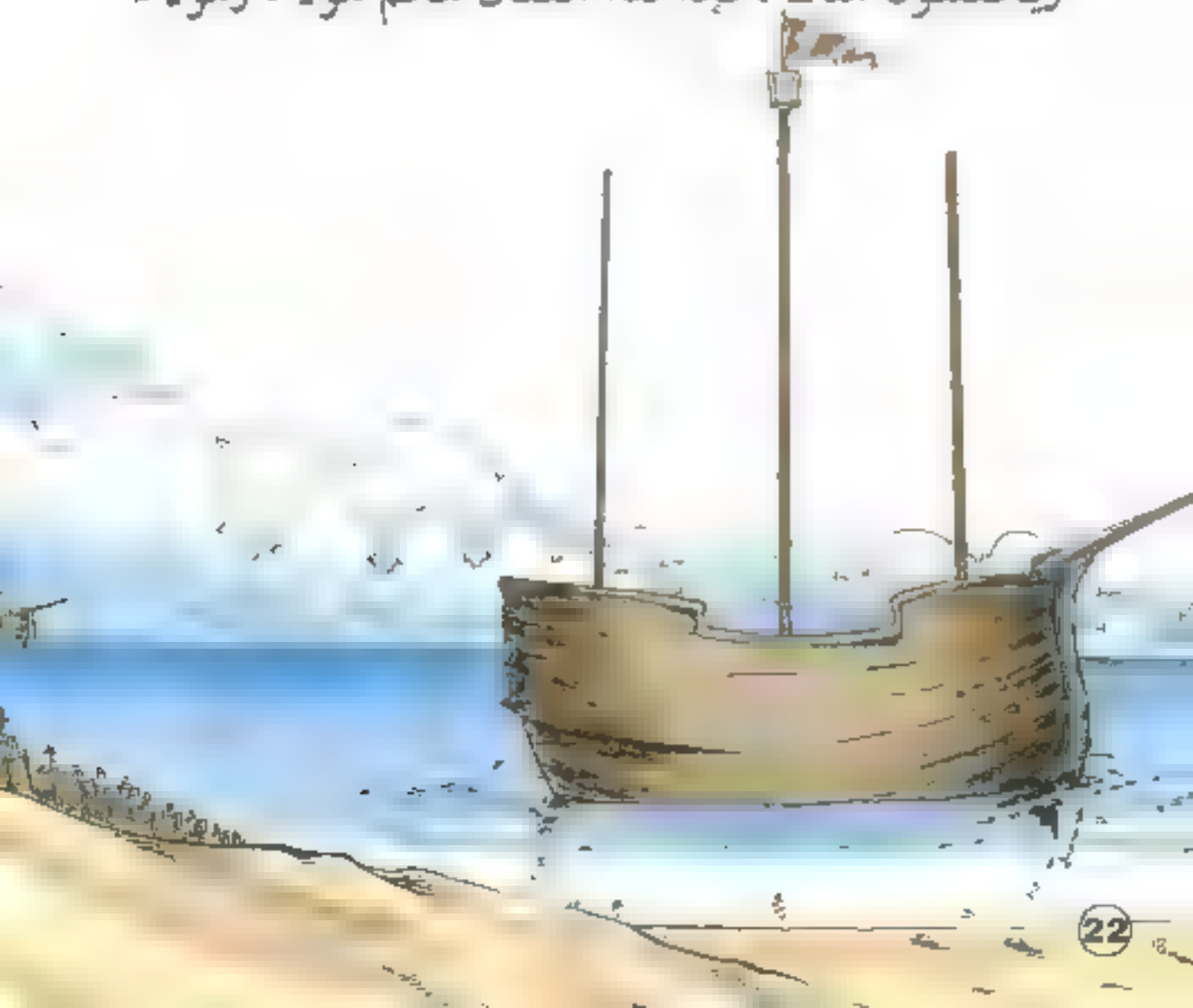


الْخَلِيفَةُ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) بِقِيَادَةِ الصَّحَابِيِّ
الْجَلِيلِ (الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ) ، وَقَدَرَهُ ثَمَانِيَةُ أَلْفٍ
مُقَاتِلٍ ..

وَيَجْمَعُ (عُمَرُو) كِبَارَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ خَرَجُوا
لِلْعُرْوِ مَعَهُ ، وَيَسْتَشِيرُهُمْ فِي كَيْفِيَّةِ اسْتِدْرَاجِ الرُّومِ
لِلْخُرُوجِ مِنْ حِصْنِ (بَابِلْيُون) ..

وَلَكِنْ غَيُّونَ (عُمَرُو) وَمُرَاصِدُهُ تُخْشِرُهُ أَنَّهُمْ سَوْفَ
يَخْرُجُونَ لِقَاتِلِهِمْ عَدَا . حَتَّى لَا يَظْهَرُوا أَمَامَ
الْمَصْرِيِّينَ بِمَظْهَرِ الْخُشْرِ وَالْحَوْفِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ..

يَضَعُ (عَمْرُو) خُطَّتَهُ لِلْقَاءِ الرُّومِ فِي (الْغَنَاسِيَّةِ)
وَتَتَلَحَّصُ الْخُطَّةُ فِي صَنْعِ كَمِينَيْنِ لِلرُّومِ . . . حَيْثُ
يَخْرُجُ خَمْسُمِائَةٍ مِنْ جُنُودِ (عَمْرُو) فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ ،
وَيَتَجَهَّوْنَ إِلَى حَصْنِ (أُمِّ دَنْيَسَ) . وَخَمْسُمِائَةٍ
آخَرُونَ يَتَجَهَّوْنَ تَحْتَ حُجَّحِ الطَّلَامِ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ
وَيَحْتَسِبُونَ هُنَاكَ . فَإِذَا بَدَأَ الْقِتَالُ هَمَمَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ





من اتجّاهين مُختلفين فيظنُّ الرومُ أنَّهم يُحاربون
ثلاثة جيوش للمُسلمين ..

وفي الصُّباح الباكر تعاهد الرومُ على القتال حتّى
النَّصر أو الموت ، وخرحوا من حصنهم للقاء حنود
(عمرو) فلمّا اشتدَّ القتالُ أطبقَ عليهما الكميَّان
اللذان أعدهما (عمرو) من قتلٍ ، فوقع
الاضطرابُ والهزيمةُ في صفوف الروم ، فقتل
المُسلمون منهم أعدادًا كثيرةً ولاذ الآخرون بالفرار ..



وَحَقَّقَ الْمُسْلِمُونَ انْتصارًا رَائِعًا فِي هَذِهِ الْمَوْقِعَةِ الَّتِي
سُمِّيَتْ بِمَوْقِعَةِ (عَيْنِ شَمْسٍ) .. ثُمَّ اسْتَوْلَى (عَمْرُو)
عَلَى (مِصْرَ) كُلِّهَا دُونَ قِتَالٍ ..

اتَّجَهَ (عَمْرُو) بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى إِقْلِيمِ (الْفَيْوَمِ)
فَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ دُونَ قِتَالٍ ، ثُمَّ عَادَ بِجُودِهِ لِيُحَاصِرَ حَصْنَ
(بَابِلْيُونَ) بِمَنْ فِيهِ مِنَ الْقُوَّاتِ الرُّومِيَّةِ الْمُنْهَزِمَةِ ..
فَدَامَ الْحَصَارُ شَهْرًا ، كَانِ الرُّومُ خِلَالَهُمْ يَقْدِفُونَ
الْمُسْلِمِينَ بِالْمِجَانِيْقِ ، وَالْمُسْلِمُونَ يَرْدُّوْنَ عَلَيْهِمُ
بِالسَّهَامِ وَالْحِجَارَةِ .. وَفِي آثَاءِ الْحَصَارِ يُخْرِجُ

(الْمُقَوْقِسُ) حَاكِمُ مِصْرَ وَحِمَاةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ سَرًّا
وَيَتَفَاوَضُ مَعَ (عَمْرُو) عَلَى اقْتِدَاءِ أَنْفُسِهِمْ بِالْمَالِ ،
كَيْ يَرْحَلَ الْمُسْلِمُونَ ، وَتَعُودَ مِصْرُ لِحُكْمِ الرُّومِ ..
لَكِنْ (عَمْرُو) يُصِرُّ عَلَى وَاحِدَةٍ مِنْ ثَلَاثَ :
إِمَّا الدَّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ ،
أَوْ دَفْعَ الْجَزْيَةِ ،
أَوْ مُوَاصِلَةَ الْقِتَالِ

وَيُعْرِضُ (الْمُقَوْقِسُ) عَلَى مَنْ مَعَهُ أَنْ يُوَافِقُوا
عَلَى الْخُضُوعِ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَدَفْعِ الْجَزْيَةِ ، بَدَلًا مِنْ
الْقِتَالِ وَالْمَوْتِ وَالْأَسْرِ وَالتَّشَرُّدِ ، فَيَرْتَضَوْنَ وَيَقُولُونَ لَهُ .





« الْمَوْتُ أَهْوَنُ عَلَيْنَا » ..

وهكذا تعود الحرب بين الفريقين ..

ويخرج الروم من حصن (بابلْيُون) لقتال المسلمين

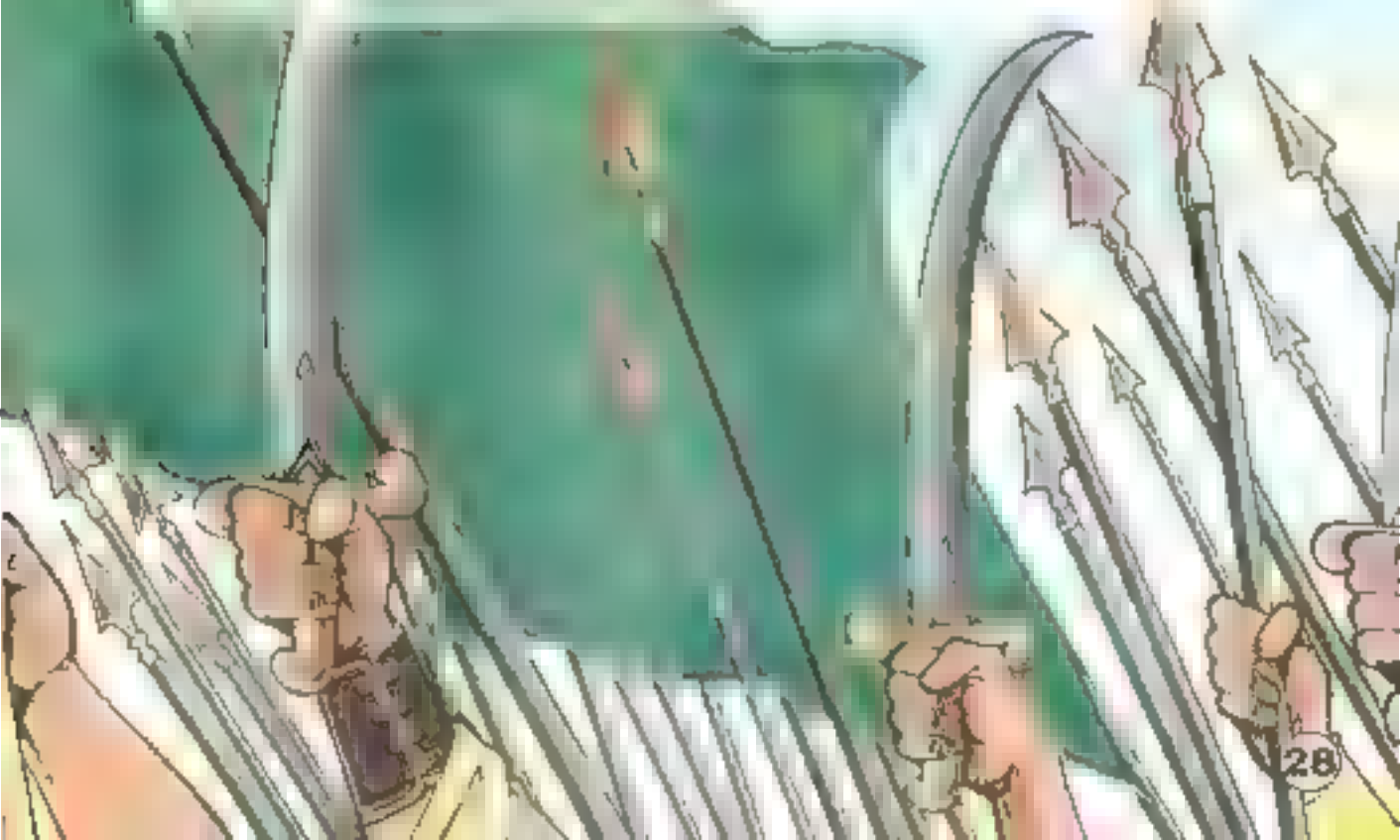
فيظفروا بهم المسلمون ، ويقتلون منهم عددا كبيرا ..

ويعود (المقدوقس) إلى طلب الصلح ، فيفاوضه

(عمرو) ويفرض عليه جزية مقدارها ديناران على

كل فرد من القبط يقيم في مصر ، ويوقع بينهما عقد

بهذا على أن يوافق عليه ويقره (هرقل) ملك الروم ..

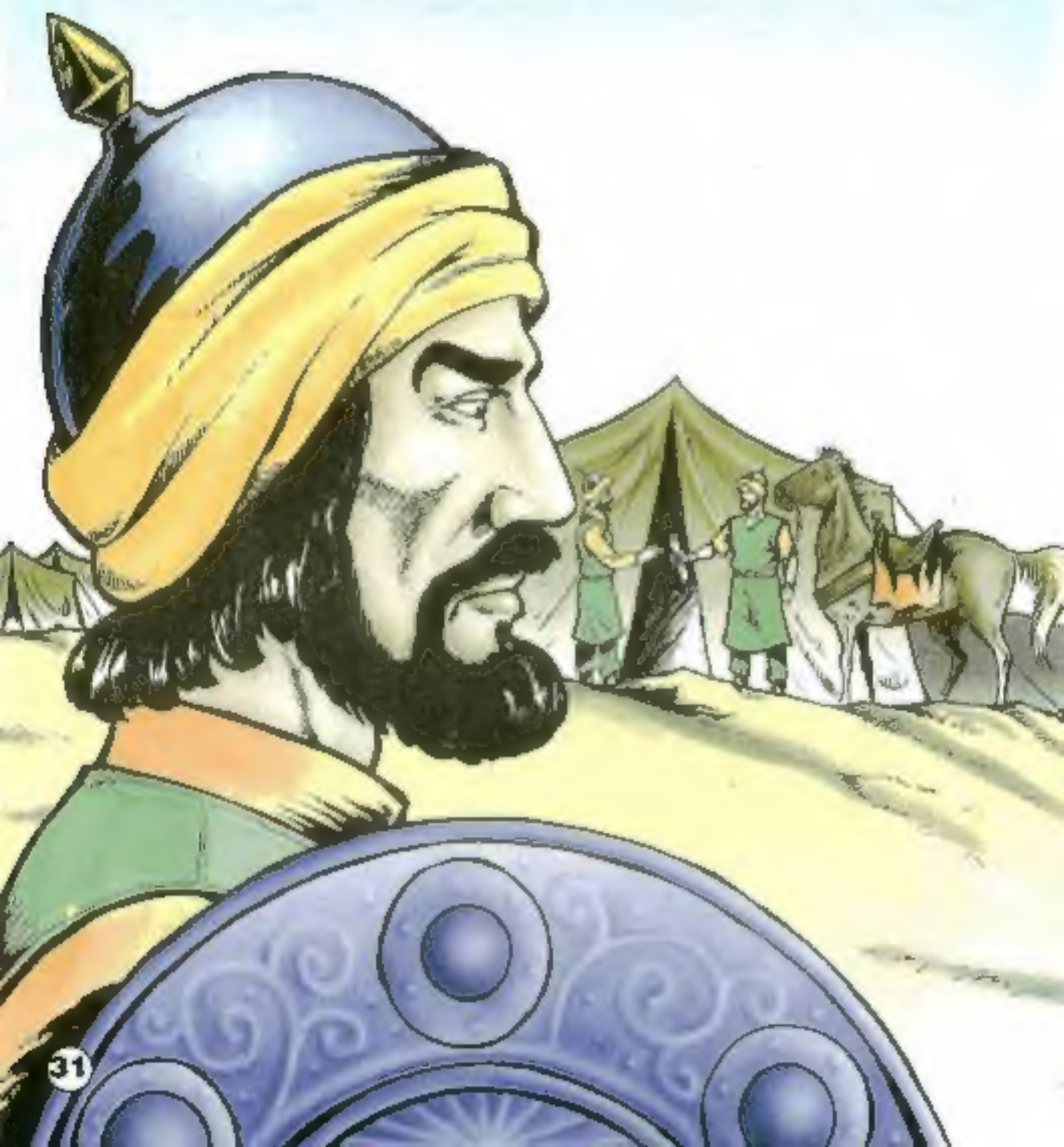


وَيُرْسَلُ (الْمُقَوْقِسُ) الْعَقْدَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ لِيُقِرَّهُ
(هِرَقْلُ) ، فَيَثُورُ (هِرَقْلُ) لِذَلِكَ ، وَيَتَّهَمُ (الْمُقَوْقِسُ)
بِالْخِيَانَةِ ، ثُمَّ يَنْفِيهِ طَرِيدًا مِنْ بِلَادِهِ ، وَيَرْفُضُ إِقْرَارَ
الصُّلْحِ مَعَ (عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ) ..

وَيَعُودُ الْقِتَالُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مَرَّةً أُخْرَى ، فَيَرْمِي الرُّومُ
بِقِطْعِ الْحَدِيدِ حَوْلَ أَبْوَابِ الْحِصْنِ ، حَتَّى لَا يَسْهَلَ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ افْتِحَامُهَا ، لَكِنَّ الْمَرَضَ سَرَّعَانَ
مَا يَفْتِكُ بِجُنُودِ الْحِصْنِ بَعْدَ حِصَارٍ دَامَ سَبْعَةَ شُهُورٍ ..

وَيَصْعَدُ (الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ) وَمَجْمُوعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ
أَسْوَارَ الْحَصْنِ ، بَعْدَ أَنْ وَهَبُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْمَوْتِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ .. ثُمَّ يَقْفِزُونَ دَاخِلَ الْحَصْنِ مُكْبِرِينَ ،
فَيَظْنُ الرُّومُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ اسْتَوْلَوْا عَلَى الْحَصْنِ ،
فَيَهْرَبُونَ تَارِكِينَ الْحَصْنَ .. وَيدْخُلُ الْمُسْلِمُونَ
الْحَصْنَ وَيَسْتَوْلُونَ عَلَيْهِ دُونَ قِتَالٍ ..





وَبِهَذَا يَسْتَوِلِي (عَمْرُو) عَلَى (مِصْرَ) كُلَّهَا بَعْدَ أَنْ
قَهَرَ جُنُودَ الرُّومِ ..

وَلَكِنْ تَبْقَى (الإسْكَندَرِيَّةُ) عَاصِمَةُ مِصْرَ فِي ذَلِكَ
الْوَقْتِ ..

تُرَى كَيْفَ اسْتَطَاعَ (عَمْرُو) وَجُنُودُهُ اقْتِحَامَ
حُصُونِهَا ١٩

هَذَا هُوَ مَوْضُوعُ الْكِتَابِ التَّالِي ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .